بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة يسٓ

مكية، [إلا آية ٤٥ فمدنيّة] وآياتها ٨٣
نزلت بعد سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾

قرئ: «يس» بالفتح[(١)]، كأين وكيف، أو بالنصب على: اتل يس، وبالكسر على الأصل كجير، وبالرفع على هذه يس، أو بالضم كحيث، وفخمت الألف وأميلت[(٢)]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: معناه يا إنسان (١٢٥٤) في لغة طيىء، والله أعلم بصحته، وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين، فكثر النداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم: م الله في أيمن الله ﴿ٱلْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، أو لأنه دليل ناطق بالحكمة كالحي، أو لأنه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾﴾ خبر بعد خبر، أو صلة للمرسلين. فإن قلت: أي حاجة إليه خبراً كان أو صلة، وقد علم أنّ المرسلين لا يكونون إلا على صراط مستقيم؟ قلت: ليس الغرض بذكره ما ذهبت إليه من تمييز من أرسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على

١٢٥٤ ـ أخرجه الطبري في تفسيره (١٠/ ٤٢٥)، حديث، (٢٩٠٢٨)، وذكره السيوطي في تفسيره الدر المنثور (٥/ ٤٨٤) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم.

---

(١) قوله «قرئ يس بالفتح» يفيد أن السكون قراءة الجمهور، والحركات قراءات لبعضهم، فالفتح بناء أو نصب، والكسر بناء فقط، فتدبر. (ع).

(٢) قوله «فخمت الألف وأميلت» يعني: قرأ الجمهور بالتفخيم. وقرأ بعضهم بالإمالة، كما في النسفي. (ع).

صفته، وإنما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة، فجمع بين الوصفين في نظام واحد، كأنه قال: إنك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت، وأيضاً فإن التنكير فيه دلّ على أنه أرسل من بين الصرط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه[1]، وقرىء: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب على أعني، وبالجرّ على البدل من القرآن ﴿قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ قوماً غير منذر آباؤهم، على الوصف[2]، ونحوه قوله تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص: ٤٦]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وقد فسر ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ على إثبات الإنذار. ووجه ذلك أن تجعل ما مصدرية، لتنذر[3] قوماً إنذار آبائهم، أو موصولة ومنصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوماً ما أنذره آباؤهم من العذاب؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ [النبأ: ٤٠]. فإن قلت: أي فرق بين تعلقي قوله: ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ على التفسيرين؟ قلت: هو على الأوّل متعلق بالنفي؛ أي: لم ينذروا فهم غافلون، على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم، وعلى الثاني بقوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ لتنذر، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل، أو فهو غافل. فإن قلت: كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الأخر؟ قلت: لا مناقضة؛ لأنّ الآي في نفي إنذارهم لا في نفي إنذار آبائهم، وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل وكانت النذارة فيهم[4]. فإن قلت: ففي

---

(١) قال محمود: «إن قلت: ما سر قوله: (على صراط مستقيم) وقد علم بكونه من المرسلين أنه كذلك؟ وأجاب بأن الغرض وصفه ووصف ما جاء به، فجاء بالوصفين في نظام واحد، فكأنه قال: إنك لمن المرسلين على طريق ثابت، قال: وأيضاً ففي تنكير الصراط أنه مخصوص من بين الصرط المستقيمة بصراط لا يكتنه وصفه. انتهى كلامه. قال أحمد: قد تقدم في مواضع أن التنكير قد يفيد تفخيماً وتعظيماً، وهذا منه.

(٢) قال محمود: «إنه على الوصف كقوله: (لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير) قال: وقد فسر (ما أنذر آباؤهم) على إثبات الإنذار على أن ما مصدرية أو موصولة. قال: والغرق بين موقع الفاء على التفسيرين أنها على الأوّل متعلقة بالنفي معنى جواباً له، والمعنى أن نفي إنذارهم هو السبب في غفلتهم، وعلى الثاني بقوله: (إنك لمن المرسلين) لتنذر، كما تقول: أرسلناك إلى فلان لتنذره، فإنه غافل، أو فهو غافل، انتهى» قال أحمد: يعني أنها على التفسير الثاني تفهم أن غفلتهم سبب في إنذارهم.

(٣) قوله «على المفعول الثاني لتنذر» لعل بعده سقطاً تقديره: أي لتنذر. (ع).

(٤) قال محمود: فإن قلت: كيف يكونون منذرين على هذا التفسير غير منذرين في قوله: (ما أتاهم من نذير من قبلك) وأجاب بأن الآية لنفي إنذارهم لا لنفي إنذار آبائهم، وآباؤهم القدماء من ولد إسماعيل، وقد كانت النذارة فيهم. قال: فما تصنع بأحد التفسيرين الذي مقتضاه أن آباءهم لم ينذروا؛ وهو التفسير الأول في هذه الآية مع التفسير الثاني، ومقتضاه أنهم أنذروا، وأجاب بأن آباءهم الأباعد هم المنذرون لا آباؤهم الأدنون. قال: ثم مثل تصميمهم على الكفر وأنهم لا يرعوون؛ ولا يرجعون بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يطأطئون رءوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم، قال: والضمير للأغلال؛ =

أحد التفسيرين أنّ آباءهم لم ينذروا وهو الظاهر، فما تصنع به؟ قلت: أريد آباؤهم الأدنون دون الأباعد ﴿ٱلْقَوْلُ﴾ قوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنّة والناس أجمعين﴾ [السجدة: ١٣] يعني تعلق بهم هذا القول، وثبت عليهم ووجب؛ لأنهم ممن علم أنهم يموتون على الكفر.

﴿إِنَّا ٢/ ١٢٠أ جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾

ثم مثل تصميمهم على الكفر، وأنه لا سبيل إلى ارعوائهم بأن جعلهم كالمغلولين المقمحين؛ في أنهم لا يلتفتون إلى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه، ولا يطأطئون رءوسهم له، وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدّامهم ولا ما خلفهم، في أن لا تأمل لهم ولا تبصّر، وأنهم متعامون عن النظر في آيات الله. فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾؟ قلت: معناه: فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها، وذلك أن طوق الغلّ الذي في عنق المغلول، يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود، نادراً[١] من الحلقة إلى الذقن؛ فلا تخليه يطأطىء رأسه ويوطىء قذاله[٢]، فلا يزال مقمحاً. والمقمح: الذي يرفع رأسه ويغض بصره؛ يقال: قمح البعير فهو قامح: إذا روي فرفع رأسه، ومنه شهرا قماح[٣]؛ لأن الإبل ترفع رءوسها عن الماء لبرده فيهما، وهما الكانونان. ومنه: اقتمحت السويق. فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي، وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق ـ وبذلك يسمى جامعة ـ كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي[٤]؟ قلت: الوجه ما ذكرت لك، والدليل عليه قوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ألا

= لأن طوق الغل يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادراً من الحلقة إلى الذقن، فلا تخليه يطأطىء رأسه، فلا يزال مقمحاً. انتهى كلامه» قال أحمد: إذا فرقت هذا التشبيه كان تصميمهم على الكفر مشبهاً بالأغلال، وكان استكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه مشبهاً بالإقماح؛ لأن المقمح لا يطأطىء رأسه. وقوله: (فهي إلى الأذقان) تتمة للزوم الإقماح لهم، وكان عدم الفكر في القرون الخالية مشبهاً بسدّ من خلفهم، وعدم النظر في العواقب المستقلة مشبهاً بسدّ من قدامهم.

(١) قوله «رأس العمود نادراً» أي شاذاً، كما يفيده الصحاح. (ع).

(٢) قوله «ويوطئ قذاله» في الصحاح «القذال»: جماع مؤخر الرأس، فتدبر. (ع).

(٣) قوله «ومنه شهرا قماح» بوزن كتاب وغراب، كما نقل عن القاموس. وفي الصحاح: سميا بذلك؛ لأن الإبل إذا وردت فيهما آذاها برد الماء فقامحت. (ع).

(٤) قال محمود: «فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق، وبذلك يسمى جامعة: كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي. وأجاب بأن الوجه هو الأول، واستدل على هذا التفسير الثاني بقوله: (فهم مقمحون) لأنه جعل الإقماح نتيجة قوله: (فهي إلى الأذقان) ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً، وترك الحق الأبلج =

ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ ولو كان الضمير للأيدي، لم يكن معنى التسبب في الإقماح ظاهراً؛ على أن هذا الإضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن الذي يجفو عنه وترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج[1]. فإن قلت: فقد قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: «في أيديهم»، وابن مسعود: «في أيمانهم»، فهل تجوِّز على هاتين القراءتين أن تجعل الضمير للأيدي أو للأيمان؟ قلت: يأبى ذلك وإن ذهب الإضمار المتعسف ظهور كون الضمير للأغلال، وسداد المعنى عليه كما ذكرت. وقرىء: «سداً» بالفتح والضم. وقيل: ما كان من عمل الناس فبالفتح، وما كان من خلق الله فالبضم ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ فأغشينا أبصارهم، أي: غطيناها، وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي، وعن مجاهد: فأغشيناهم: فألبسنا أبصارهم غشاوة. وقرىء: بالعين من العشا. وقيل: نزلت في بني مخزوم؛ وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخن رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به، فلما رفع يده أثبتت إلى عنقه ولزق الحجر بيده، حتى فكوه عنها بجهد، فرجع إلى قومه فأخبرهم، فقال مخزومي آخر: أنا أقتله بهذا الحجر، فذهب، فأعمى الله عينيه (١٢٥٥).

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾

فإن قلت: قد ذكر ما دلّ على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار، ثم قفاه بقوله: ﴿إِنَّمَا

١٢٥٥ ـ أخرجه أبو نعيم في الدلائل ص (١٣٣)، وابن اسحاق (٢٨٤ ـ سيرة ابن هشام).
قال الحافظ: أخرجه ابن إسحق في السيرة في كلام طويل. ورواه أبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق: حدثني محمد بن محمد بن سعيد، أو عكرمة، عن ابن عباس: «أن أبا جهل قال: إني أعاهد الله لأجلسن غداً لمحمد بحجر ما أطيق حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه، فذكر نحوه إلى قوله: قد يبست يداه على حجره، حتى قذف الحجر بين يديه: وأصله في البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما. أهـ

= للباطل اللجلج. انتهى كلامه» قال أحمد: ويحتمل أن تكون الفاء للتعقيب كالفاء الأولى في قوله: (فهي إلى الأذقان) أو للتسبب، ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الإقماح؛ فإن اليد ـ والعياذ بالله تعالى ـ تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها ومانعة من وطأتها، ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير، فإن اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج بإطلاقها، ولعله يتحيل بها على فكاك الغل، ولا كذلك إذا كانت مغلولة، فيضاف إلى ما ذكرناه من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي؛ فإن اليد آلة الحيلة إلى الخلاص.

(١) قوله: «إلى الباطل اللجلج» أي الذي يردد من غير أن ينفذ. أفاده الصحاح. (ع).

تُنذِرُ﴾[1] وإنما كانت تصح هذه التقفية لو كان الإنذار منفياً. قلت: هو كما قلت، ولكن لما كان ذلك نفياً للإيمان مع وجود الإنذار، وكان معناه أن البغية المرومة بالإنذار غير حاصلة وهي الإيمان ـ قفى بقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ على معنى: إنما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم المتبعون للذكر؛ وهو القرآن أو الوعظ، الخاشون ربهم.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

﴿نُحْيِ الْمَوْتَى﴾ نبعثهم بعد مماتهم. وعن الحسن: إحياؤهم: أن يخرجهم من الشرك إلى الإيمان ﴿وَنَكْتُبُ مَا﴾ أسلفوا من الأعمال الصالحة وغيرها، وما هلكوا عنه من أثر حسن، كعلم علموه، أو كتاب صنفوه، أو حبيس حبسوه، أو بناء بنوه، من مسجد أو رباط أو قنطرة أو نحو ذلك. أو سيىء، كوظيفة وظفها بعض الظلام على المسلمين، وسكة أحدث فيها تخسيرهم، وشيء أحدث فيه صدّعن ذكر الله؛ من ألحان وملاهٍ، وكذلك كل سنة حسنة أو سيئة يستن بها. ونحوه قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] أي: قدّم من أعماله، وأخّر من آثاره. وقيل: هي آثار المشائين إلى المساجد. وعن جابر: أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حوله خالية، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتانا في ديارنا، وقال: يا بني سلمة، بلغني أنكم تريدون النقلة إلى المسجد، فقلنا: نعم، بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية، فقال: عليكم دياركم. فإنما تكتب آثاركم. قال: فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله ﷺ (١٢٥٦). وعن عمر بن عبد العزيز: لو كان الله مغفلاً شيئاً لأغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح. والإمام: اللوح. وقرىء: «ويُكتبُ ما قدّموا وآثارهم» على البناء للمفعول، «وكل شيء» بالرفع.

١٢٥٦ ـ أخرجه مسلم (٣/ ١٨٢ نووي): كتاب المساجد: باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد، حديث (٢٨٠/ ٦٦٥)، وأحمد (٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٦٤)، وعبد الرزاق في مصنفه (١/ ٥١٧)، حديث (١٩٨٢)، وأبو عوانة (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، وابن حبان في صحيحه (٥/ ٣٩٠ ـ ٣٩١)، حديث (٢٠٤٢)، والطبري (١٠/ ٤٢٩)، حديث (٢٩٠٧١، ٢٩٠٧٢).
وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٤٨٨) وعزاه لمسلم والطبري وابن مردوية عن جابر.

---

(١) قال محمود: «إن قلت: قد ذكرنا ما دل على انتفاء إيمانهم مع ثبوت الإنذار، ثم قفاه بقوله: (إنما تنذر) وإنما كانت التقفية تصح لو كان الإنذار منفيًا، وأجاب بأن الأمر كذلك، ولكن لما بيّن أن البغية المرومة بالإنذار وهي الإيمان منفية عنهم قفاه بقوله: (إنما تنذر) أو إنما تحصل بغية الإنذار ممن اتبع الذكر. انتهى كلامه» قلت: في السؤال سوء أدب، وينبغي أن يقال: وما وجه ذكر الإنذار الثاني في معرض المخالفة للأول، مع أن الأول إثبات، والإنذار الثاني كذلك؟

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا / ٢/
١٢٠ب فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ
مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا﴾ ومثل لهم مثلاً، من قولهم: عندي من هذا الضرب كذا، أي: من هذا المثال، وهذه الأشياء على ضرب واحد، أي على مثال واحد. والمعنى: واضرب لهم مثلاً مثل أصحاب القرية، أي: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية. والمثل الثاني بيان للأوّل. وانتصاب إذ بأنه بدل من أصحاب القرية. والقرية أنطاكية. و ﴿ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان، أرسل إليهم اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار صاحب يس، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه، فقام، فآمن حبيب وفشا الخبر، فشفي على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما إلى الملك، وقال لهما: ألنا إلٰه سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك، فقال: حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل: حبسا. ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون؛ فدخل متنكراً، وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به، ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به، فقال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه؟ فقال: لا، حال الغضب بيني وبين ذلك، فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنّى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصر، وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلٰهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف. قال: ليس لي عنك سر، إنّ إلٰهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضرّ ولا ينفع، وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون أنه منهم، ثم قال: إن قدر إلٰهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال شمعون: وهذان، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أنّ قوله قد أثّر فيه، نصحه فآمن وآمن معه قوم، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فقوّينا؛ يقال: المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدّها، وتعزز لحم الناقة. وقرىء: بالتخفيف من عزه يعزه: إذا غلبه، أي: فغلبنا وقهرنا ﴿بِثَالِثٍ﴾ وهو شمعون. فإن قلت: لم ترك ذكر المفعول به؟ قلت: لأنّ الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون، وما لطف فيه

obeikandi.com

من التدبير حتى عزّ الحق وذلّ الباطل، وإذا كان الكلام منصباً إلى غرض من الأغراض، جعل سياقه له وتوجهه إليه، كأن ما سواه مرفوض مطرح، ونظيره قولك: حكم السلطان اليوم بالحق، الغرض المسوق إليه: قولك بالحق، فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه. إنما رفع «بشر» ونصب[1] في قوله: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١] لأنّ «إلاّ» تنقض النفي، فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه، فلا يبقى له عمل. فإن قلت: لم قيل: ﴿إنا إليكم مُرسلُون﴾ أوّلاً[2]، و﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ آخراً؟ قلت: لأنّ الأوّل ابتداء إخبار، والثاني جواب عن إنكار.

﴿قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾

وقوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ جار مجرى القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله، وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم: ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ أي: الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته؛ وإلا فلو قال المدعي: والله إني لصادق فيما أدعي، ولم يحضر البينة ـ كان قبيحاً.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم[3]، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا، كما حكى الله عن القبط: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]. وعن مشركي مكة: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ﴾ [النساء: ٧٨]. وقيل: حبس عنهم القطر فقالوا ذلك. وعن قتادة: إن أصابنا شيء كان من أجلكم ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ وقرىء: «طيركم» أي: سبب شؤمكم معكم وهو كفرهم، أو أسباب شؤمكم معكم، وهي كفرهُم ومعاصيهم. وقرأ الحسن «أطيركم» أي تطيركم، وقرىء: «أئن ذكرتم» بهمزة الاستفهام وحرف الشرط، و «آئن» بألف بينهما[4]، بمعنى: أتطيرون إن ذكرتم؟ وقرىء: «أأن

---

(١) قوله: «إنما رفع بشر ونصب» عبارة النسفي: إنما رفع بشر هنا ونصب... إلخ» (ع).
(٢) قال محمود: «إن قلت: لم أسقط اللام هنا وأثبتها في الثانية عند قوله (ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون) قلت: الأول ابتداء إخبار، والثاني جواب إنكار» قال أحمد: أي فلاق توكيده.
(٣) قوله: «ونفرت منهم» لعله: منه كعبارة النسفي. (ع).
(٤) قوله: «وآئن بألف بينهما» الذي في النسفي أن هذا وما قبله بياء مكسورة بدل الهمزة الثانية. (ع).

ذكرتم» بهمزة الاستفهام وأن الناصبة، يعني: أتطيرتم لأن ذكرتم؟ وقرىء: أن، وإن بغير استفهام لمعنى الإخبار، أي تطيرتم/ ٢/ ١٢١أ لأن ذكرتم، أو إن ذكرتم تطيرتم. وقرىء: «أين ذكرتم»: على التخفيف، أي: شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم، وإذا شئم المكان بذكرهم كان بحلولهم فيه أشأم ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ في العصيان، ومن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل رسل الله وتذكيرهم، أو بل أنتم قوم مسرفون في ضلالكم متمادون في غيكم، حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

﴿رَجُلٌ يَسْعَىٰ﴾ هو حبيب بن إسرائيل النجار، وكان ينحت الأصنام، وهو ممن آمن برسول الله ﷺ، وبينهما ستمائة سنة؛ كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرهما، ولم يؤمن بنبي أحد إلا بعد ظهوره. وقيل: كان في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرةَ، فقالوا: أوأنت تخالف ديننا؟ فوثبوا عليه فقتلوه. وقيل: توطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه[(١)] من دبره. وقيل: رجموه وهو يقول: اللهمّ اهد قومي (١٢٥٧). وقبره في سوق أنطاكية، فلما قتل غضب الله عليهم فأهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام. وعن رسول الله ﷺ: «سُبّاق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون» (١٢٥٨). ﴿مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾

١٢٥٧ ـ أخرجه الطبري (١٠/ ٤٣٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٠٩٧) عن قتادة، وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٤١) عن قتادة.
وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه.

١٢٥٨ ـ أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٩٣)، حديث (١١١٥٢)، والعقيلي في الضعفاء الكبير (١/ ٢٤٩).
وذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٢)، حديث (١٠٧٢). وزاد نسبته إلى ابن مردوية، والثعلبي.
أما السباق أربعة فأخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ٢٨٥) كتاب معرفة الصحابة: معرفة بلال رضي الله عنه، وابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٥٣) حديث (٢٥٧٧).

---

(١) قوله: «حتى خرج قصبه» في الصحاح «القصب» بالضم: المتقى، والمعي: واحد الأمعاء. (ع).

كلمة جامعة في الترغيب فيهم، أي: لا تخسرون معهم شيئاً من دنياكم، وتربحون صحة دينكم؛ فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة، ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم، ولأنه أدخل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه، ولقد وضع قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ مكان قوله: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم. ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: ﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ يريد فاسمعوا قولي وأطيعوني، فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه؛ أنّ العبادة لا تصحّ إلاّ لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم، وما أدفع العقول وأنكرها لأن تستحبوا على عبادته عبادة أشياء، إن أرادكم هو بضرّ وشفع لكم هؤلاء، لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من أن يكونوا شفعاء عنده؛ ولم يقدروا على إنقاذكم منه بوجه من الوجوه، إنكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال ظاهر بين لا يخفى على ذي عقل وتمييز. وقيل: لما نصح قومه أخذوا يرجمونه فأسرع نحو الرسل قبل أن يقتل، فقال لهم: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ أي اسمعوا إيماني تشهدوا لي به. وقرىء: «إن يوردني الرحمٰن بضرّ» بمعنى: إن يوردني ضرّاً، أي يجعلني مورداً للضرّ.

﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾

أي: لما قتل ﴿قِيلَ﴾ له: ﴿ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وعن قتادة: أدخله الله الجنة وهو فيها حيّ يرزق، أراد قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٠] وقيل: معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها. فإن قلت: كيف مخرج هذا القول في علم البيان؟ قلت: مخرجه مخرج الاستئناف؛ لأنّ هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه، كأنّ قائلاً قال: كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب في نصرة دينه، والتسخي لوجهه بروحه؟ فقيل: قيل: ادخل الجنة ولم يقل: قيل له؛ لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه، لا إلى المقول له مع كونه معلوماً، وكذلك ﴿قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم، وإنما تمنى علم قومه بحاله؛ ليكون علمهم بها سبباً لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر، والدخول في الإيمان

= كتاب معرفة الصحابة: معرفة بلال ـ رضي الله عنه ـ، قال الحافظ: أخرجه الثعلبي من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه بهذا، وفيه عمرو بن جميع وهو متروك. ورواه العقيلي، والطبراني، وابن مردويه، من طريق حسين بن حسن الأشقر عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس، بلفظ السباق ثلاثة، فالسابق إلى عيسى صاحب يس، وإلى محمد ﷺ ـ علي بن أبي طالب. أ.هـ

والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة. وفي حديث مرفوع: «نصح قومه حياً وميتاً» (١٢٥٩). وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه؛ ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزاً ولم تعقبه إلا سعادة؛ لأنّ في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور. والأوّل أوجه. وقرىء: «المكرمين». فإن قلت: «ما» في قوله تعالى: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ أي المآت هي؟ قلت: المصدرية أو الموصولة؛ أي: بالذي غفره لي من الذنوب. ويحتمل أن تكون استفهامية؛ يعني بأي شيء غفر لي ربي؛ يريد به٢/ ١٢١ب ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل، إلا أنّ قولك: «بم غفر لي» بطرح الألف أجود، وإن كان إثباتها جائزاً؛ يقال: قد علمت بما صنعت هذا، أي: بأي شيء صنعت وبم صنعت.

﴿۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾

المعنى: أن الله كفى أمرهم بصيحة ملك، ولم ينزل لإهلاكهم جنداً من جنود السماء، كما فعل يوم بدر والخندق، فإن قلت: وما معنى قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾؟ قلت: معناه: وما كان يصح في حكمتنا أن ننزل في إهلاك قوم حبيب جنداً من السماء؛ وذلك لأن الله تعالى أجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون البعض، وما ذلك إلا بناء على ما اقتضته الحكمة وأوجبته المصلحة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]. فإن قلت: فلم أنزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق؛ قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٤]، ﴿بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]؟ قلت: إنما كان يكفي ملك واحد، فقد أهلكت مدائن

١٢٥٩ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٦٣)، حديث (١٠٧٣)، وعزاه لابن مردوية في تفسيره. قال الحافظ: ورد هذا في قصة عروة بن مسعود أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبة، فذكر القصة وفي آخرها فكان يقول وهو في النزع: يا معشر ثقيف ائتوا رسول الله ﷺ ـ فاطلبوا منه الأمان، قبل أن يبلغه موتي فيغزوكم. فلم يزل كذلك حتى مات، فبلغ النبي ﷺ ـ. فقال: لقد نصح قومه حياً وميتاً، وشبهه بصاحب يس. أ.هـ

قوم لوط بريشة من جناح جبريل، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة منه، ولكن الله فضّل محمداً ﷺ بكل شيء على كبار الأنبياء وأولي العزم من الرسل، فضلاً عن حبيب النجار، وأولاهُ من أسباب الكرامة والإعزاز ما لم يوله أحداً؛ فمن ذلك أنه أنزل له جنوداً من السماء، وكأنه أشار بقوله: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ إلىٰ أن إنزال الجنود من عظائم الأمور التي لا يؤهل لها إلاّ مثلك، وما كنا نفعله بغيرك ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ إن كانت الأخذة أو العقوبة إلاّ صيحة واحدة. وقرأ أبو جعفر المدني بالرفع على كان التامة، أي: ما وقعت إلاّ صيحة، والقياس والاستعمال على تذكير الفعل؛ لأنّ المعنى: ما وقع شيء إلاّ صيحة، ولكنه نظر إلى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل، ومثلها قراءة الحسن: «فأصبحوا لا ترى إلاّ مساكنهم» وبيت ذي الرمّة [من الطويل]:

.... وَمَا بَقِيَتْ إِلاَّ الضُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ[(١)]

وقرأ ابن مسعود: «إلازقية واحدة» من زقا الطائر يزقو ويزقي، إذا صاح. ومنه المثل: أثقل من الزواقي. ﴿خَٰمِدُونَ﴾ خمدوا كما تخمد النار، فتعود رماداً؛ كما قال لبيد [من الطويل]:

وَمَا الْمَرْءُ إِلاَّ كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمَاداً بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ[(٢)]

---

(١) برى لحمها سير الفيافي وحرها وما بقيت إلا الضلوع الجراشع.

للبيد، يصف ناقته بأنها أذهب لحمها سير الأراضي القفرة؛ أي السير فيها وحرها الشديد، برى ما بقيت فيها إلاّ الضلوع. وكان الأفصح حذف التاء؛ لأن المعنى: ما بقي فيها شيء إلاّ الضلوع، لكنه أنث نظراً للضلوع. والجراشع: جمع جرشع كقنفذ، وهو الغليظ المرتفع. ويروى بدل الشطر الأول، طوى الحر والأجراز ما في عروضها، والأجراز: جمع جرز، وهي المفازة القفرة، والعروض: جمع عرض ـ بضم فسكون ـ: أي جنوبها. ويروى: النحز، بدل الحر، وهو بنون فمهملة فزاي: النخس والدفع. ويروى «غروض» بغين معجمة: جمع غرض، كقفل: وهو حزام الرحل، أراد به الصدر لعلاقة المجاورة. أو هو على حذف مضاف، أي محل غروضها. ويجوز أنه أراد بما في غروضها الصدر ذاته لا الشحم واللحم. ومعنى الطي التضمير أو الإذهاب على طريق المجاز.

ينظر ديوانه: ص ١٢٩٦، وتخليص الشواهد ص ٤٨٢، وتذكرة النحاة ص ١١٣، وشرح المفصّل لابن يعيش ٢/٨٧، والمحتسب ٢/٢٠٧، والمقاصد النحويّة ٢/٤٧٧، وبلا نسبة في شرح الأشموني ٢/١٧٢، وشرح ابن عقيل ص ٢٤٣.

(٢) وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئه يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلاّ ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع.

للبيد العامري، أي: ليس حال المرء وحياته وبهجته ثم موته وفناؤه بعد ذلك إلاّ مثل حال شهاب النار وضوئه حال كونه يصير رماداً بعد إضاءته. ويمكن أن قوله: «يحور رماداً» استئناف مبين لوجه الشبه، وذلك تشبيه هيئة، ولا يصح تشبيه المرء بالشهاب وضوئه، وشبه مال الشخص وأقاربه بالودائع تشبيهاً بليغاً، بجامع أنه لا بد من أخذ كل، وبيّن ذلك بقوله: ولا بد أن ترد الودائع في يوم =

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالي يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضري فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل؛ والمعنى: أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون، أو هم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين، ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة فى معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه، وقراءة من قرأ: «يا حسرتا» تعضد هذا الوجه؛ لأن المعنى: يا حسرتي. وقرىء: «يا حسرة العباد»، على الإضافة إليهم لاختصاصها بهم؛ من حيث إنها موجهة إليهم، ويا حسرة على العباد: على إجراء الوصل مجرى الوقف.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾ ألم يعلموا، وهو معلق عن العمل في ﴿كَمْ﴾ لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها، كانت للاستفهام أو للخبر؛ لأنّ أصلها الاستفهام، إلا أن معناه نافذ في الجملة، كما نفذ في قولك: ألم يروا إن زيداً لمنطلق، وإن لم يعمل في لفظه. و ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ على المعنى، لا على اللفظ، تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم. وعن الحسن: كسر إنّ على الاستئناف. وفي قراءة ابن مسعود: ألم يروا من أهلكنا، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال، وهذا مما يردّ قول أهل الرجعة. ويحكى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قيل له: إن قوماً يزعمون أنّ علياً مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذن، نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه (١٢٦٠). ﴿لَّمَّا﴾ قرىء: «لما» بالتخفيف، على أن «ما» صلة للتأكيد، «وإن» مخففة من الثقيلة، وهي متلقاة باللام لا محالة. و «لما» بالتشديد، بمعنى:

١٢٦٠ ـ أخرجه الحاكم في مستدركه (٣/ ١٤٥)، كتاب معرفة الصحابة، و(٢/ ٢٦٥): كتاب التفسير، سورة البقرة، قال الحافظ: أخرجه الحاكم في تفسير البقرة نحوه باختصار، وأخرجه من حديث الحسن في فضائل الصحابة أتم منه، وليس فيه: بئس القوم نحن إذن، انتهى.

= من الأيام.

ينظر: ديوانه ص ١٦٩، حماسة البحتري ص ٨٤، الدرر ٢/ ٥٣، لسان العرب (حور)، بلا نسبة في شرح الأشموني ١/ ١١٠.

إلا، كالتي في مسألة الكتاب، نشدتك بالله لما فعلت، وإن نافية، والتنوين في ﴿كُلٌّ﴾ هو الذي يقع عوضاً من المضاف إليه، كقولك: مررت بكل قائماً، والمعنى أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة. وقيل: محضرون معذبون. فإن قلت: كيف أخبر عن كل بجميع، ومعناهما واحد[1]؟ قلت: ليس بواحد؟ لأنّ كلاً يفيد معنى الإحاطة، وألا ينفلت/ ٢/ ١٢٢أ منهم أحد، والجميع: معناه الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فعيل بمعنى مفعول: يقال: حي جميع، وجاءوا جميعاً.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

القراءة بالميتة على الخفة أشيع، لسلسها على اللسان. و ﴿أَحْيَيْنَـٰهَا﴾ استئناف بيان لكون الأرض الميتة آية، وكذلك نسلخ، ويجوز أن توصف الأرض والليل بالفعل؛ لأنه أريد بهما الجنسان مطلقين لا أرض[2] وليل بأعيانهما، فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالأفعال، ونحوه [من الكامل]:

وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي[3] ....

وقوله: ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ بتقديم الظرف للدلالة على أن الحَبَّ هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش، ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضرّ، وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء. قرىء: «وفجرنا» بالتخفيف والتثقيل، والفجر والتفجير، كالفتح والتفتيح لفظاً ومعنى. وقرىء: «ثمره» بفتحتين وضمتين وضمة وسكون، والضمير لله تعالى، والمعنى: ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ﴿وَ﴾ من ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ من

---

(١) قال محمود: «إن قلت: لم أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد؟ وأجاب بأن كلا تفيد الإحاطة لا ينلفت عنهم أحد، وجميع تفيد الاجتماع، وهو فعيل بمعنى مفعول، وبينهما فرق، انتهى كلامه» قال أحمد: ومن ثم وقع أجمع في التوكيد تابعاً لكل؛ لأنه أخص منه وأزيد معنى.

(٢) قال محمود: «يجوز أن يكون أحييناها صفة للأرض، وصح ذلك؛ لأن المراد بالأرض الجنس ولم يقصد بها أرض معينة وأن يكون بياناً لوجه الآية فيها، قال أحمد وغيره من النحاة: يمنع وقوع الجملة صفة للمعرف وإن كان جنسيًا وليس الغرض منه معيناً، ويراعي هذا المانع المطابقة اللفظية في الوصفية ومنه:

ولقد أمر على اللئيم يسبني.

(٣) تقدم.

الغرس والسقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعني أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه، وفيه آثار من كد بني آدم، وأصله من ثمرنا كما قال: وجعلنا، وفجرنا، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات، ويجوز أن يرجع إلى النخيل، وتترك الأعناب غير مرجوع إليها؛ لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد من ثمر المذكور وهو الجنات؛ كما قال رؤبة [من الرجز]:

فِيهَا خُطُوطٌ مِنْ بَيَاضٍ وَبَلَقْ كَأَنَّهُ فِي الجِلْدِ تَوْلِيعُ البَهَقْ[1]

فقيل له، فقال: أردت كأن ذاك، ولك أن تجعل ﴿ما﴾ نافية على أنّ الثمر خلق الله، ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه. وقرىء على الوجه الأوّل، وما عملت من غير راجع، وهي في مصاحف أهل الكوفة كذلك، وفي مصاحف أهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير. ﴿ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأجناس والأصناف ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها، ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقاً إلى العلم به؛ لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم، ولو كانت بهم إليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون؛ كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: لم يسمهم. وفي الحديث: «ما لا عين رأت[2]، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، بله ما أطلعتهم عليه» (١٢٦١). فأعلمنا بوجوده وإعداده ولم يعلمنا به ما هو، ونحوه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] وفي الإعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دلّ على عظم قدرته واتساع ملكه.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

سلخ جلد الشاة: إذا كشطه عنها وأزاله. ومنه: سلخ الحية لخرشائها[3]، فاستعير لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله. ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في الظلام، يقال: أظلمنا؛ كما تقول: أعتمنا وأدجينا[4]. ﴿لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ لحدّ لها مؤقت مقدّر تنتهي إليه

١٢٦١ ـ تقدم في سورة السجدة.

---

(١) تقدم

(٢) قوله: «في الحديث: ما لا عين رأت» أوله: «أعددت لعبادي الصالحين» كما مر في تفسير السجدة. (ع).

(٣) قوله: «ومنه سلخ الحية لخرشائها» في الصحاح «الخرشاء»: مثل الحرباء: جلد الحية. (ع).

(٤) قوله: «أعتمنا وأدجينا»، الدجى: وجع في حافر الفرس أو خف البعير. أفاده الصحاح وغيره. (ع).

من فلكها في آخر السنة، شبه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره، أو لمنتهى لها من المشارق والمغارب؛ لأنها تتقصاها مشرقاً مشرقاً، ومغرباً مغرباً حتى تبلغ أقصاها، ثم ترجع فذلك حدّها ومستقرّها؛ لأنها لا تعدوه، أو لحدّ لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب. وقيل: مستقرّها أجلها الذي أقرّ الله عليه أمرها في جريها، فاستقرّت عليه وهو آخر السنة. وقيل: الوقت الذي تستقرّ فيه وينقطع جريها وهو يوم القيامة.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

وقرىء: «تجري إلى مستقر لها»، وقرأ ابن مسعود: «لا مستقرّ لها»؛ أي: لا تزال تجري لا تستقرّ، وقرىء: «لا مستقرّ لها» على أنّ «لا» بمعنى ليس ﴿ذَلِكَ﴾ الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الأفهام في استنباطه، ما هو إلا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور، المحيط علماً بكل معلوم. قرىء: «والقمرُ» رفعاً على الابتداء، أو عطفاً على الليل، يريد: ومن آياته القمر، ونصباً بفعل يفسره قدرناه، ولا بدّ في ﴿قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ من تقدير مضاف؛ لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل، والمعنى: قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلاً، ينزل القمر كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه، على تقدير مستوٍ لا يتفاوت، يسير فيها كل ليلة من المستهل إلى الثامنة والعشرين، ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص٢/ ١٢٢ب الشهر، وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة، وهي: الشرطان، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرف، الجبهة، الزبرة، الصرفة، العوّا، السماك، الغفر، الزباني، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا. فإذا كان في آخر منازله دقّ واستقوس، و ﴿عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وهو عود العذق، ما بين شماريخه إلى منبته من النخلة. وقال الزجاج: هو «فعلون» من الانعراج وهو الانعطاف. وقرىء: «العرجون» بوزن الفرجون[1]؛ وهما لغتان، كالبزيون والبزيون، والقديم المحول، وإذا قدم دق فانحنى واصفر، فشبه به من ثلاثة أوجه. وقيل:

---

(١) قوله: «وقرئ العرجون بوزن الفرجون» في الصحاح «الفرجون»: المحسة، وقد فرجنت الدابة إذا فرجنتها. ومنه قول بعضهم: ادفنوني في ثيابي ولا تحسوا عني تراباً، أي: لا تنفضوه. وفيه «البزيون»: السندس. (ع).

أقل مدّة الموصوف بالقدم الحول، فلو أنّ رجلاً قال: كل مملوك لي قديم فهو حرّ، أو كتب ذلك في وصيته ـ عتق منهم من مضى له حول أو أكثر. وقرىء: «سابق النهار». على الأصل، والمعنى: أنّ الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسماً من الزمان، وضرب له حدّاً معلوماً، ودبر أمرهما على التعاقب، فلا ينبغي للشمس؛ أي: لا يتسهل لها ولا يصحّ ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة، وإن جعل لكل واحد من النيرين سلطان على حياله[1] ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره، ولا يسبق الليل النهار؛ يعني آية الليل آية النهار وهما النيران، ولا يزال الأمر على هذا الترتيب إلى أن يبطل الله ما دبر من ذلك، وينقض ما ألف فيجمع بين الشمس والقمر، ويُطلع الشمس من مغربها. فإن قلت: لم جعلت الشمس غير مدركة،

---

(١) قال محمود: «معناه أن كل واحد منهما لا يدخل على الآخر في سلطانه فيطمس نوره، بل هما متعاقبان بمقتضى تدبيره تعالى. قال: فإن قلت: لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق؟ قلت: لأن الشمس بطيئة السير تقطع فلكها في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس لبطئها جديرة بأن توصف بالإدراك، والقمر لسرعته جديراً بأن يوصف بالسبق، انتهى كلامه، قال أحمد: يؤخذ من هذه الآية أن النهار تابع لليل، وهو المذهب المعروف للفقهاء، وبيانه من الآية أنه جعل الشمس التي هي آية النهار غير مدركة للقمر الذي هو آية الليل، وإنما نفى الإدراك لأنه هو الذي يمكن أن يقع، وذلك يستدعي تقدم القمر وتبعية الشمس، فإنه لا يقال: أدرك السابق اللاحق، ولكن أدرك اللاحق السابق، وبحسب الإمكان توقيع النفي، فالليل ـ إذاً ـ متبوع والنهار تابع. فإن قيل: هل يلزم على هذا أن يكون الليل سابق النهار؟ وقد صرحت الآية بأنه ليس سابقاً، فالجواب: أن هذا مشترك الإلزام، وبيانه أن الأقسام المحتملة ثلاثة: إما تبعية النهار لليل، وهو مذهب الفقهاء. أو عكسه، وهو المنقول عن طائفة من النحاة. أو اجتماعهما، فهذا القسم الثالث منفي باتفاق «فلم يبق إلاّ تبعية النهار لليل، وعكسه، وهذا السؤال وارد عليهما جميعاً؛ لأن من قال: إن النهار سابق الليل لزمه أن يكون مقتضى البلاغة أن يقال: ولا الليل يدرك النهار، فإن المتأخر إذا نفى إدراكه كان أبلغ من نفي سابقه، مع أنه يتناءى عن مقتضى قوله: (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) تنائياً لا يجمع شمل المعنى باللفظ، فإن الله تعالى نفى أن تكون مدركة فضلاً عن أن تكون سابقة، فإذا أثبت ذلك فالجواب المحقق عنه أن المنفي السبقية الموجبة لتراخي النهار عن الليل وتخلل زمن آخر بينهما، وحينئذ يثبت التعاقب، وهو مراد الآية. وأما سبق أول المتعاقبين للآخر منهما فإنه غير معتبر. الا ترى إلى جواب موسى بقوله: هم أولاء على أثري، فقد قربهم منه عذراً عن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ فكأنه سهل أمر هذه العجلة بكونهم على أثره، فكيف لو كان متقدماً وهم في عقبه لا يتخلل بينهم وبينه مسافة؟ فذاك لو اتفق لكان سياق الآية يوجب أنه لا يعد عجلة ولا سبقاً، فحينئذ يكون القول بسبقية النهار لليل مخالفاً صدر الآية على وجه لا يقبل التأويل، فإن بين عدم الإدراك الدال على التأخير والتبعية وبين السبق بوناً بعيداً ومخالفاً أيضاً لبقية الآية، فإنه لو كان الليل تابعاً ومتأخراً لكان أحرى أن يوصف بعدم الإدراك ولا يبلغ به عدم السبق، ويكون القول بتقدم الليل على النهار مطابقاً لصدر الآية صريحاً، ولعجزها بوجه من التأويل مناسب لنظم القرآن، وثبوت ضده أقرب إلى الحق من حبل وريده، والله الموفق للصواب من القول وتسديده».

والقمر غير سابق؟ قلت: لأنّ الشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة، والقمر يقطع فلكه في شهر، فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر، خليقاً بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره ﴿وَكُلٌّ﴾ التنوين فيه عوض عن المضاف إليه، والمعنى: وكلهم، والضمير للشموس والأقمار على ما سبق ذكره.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أولادهم ومن يهمهم حمله. وقيل: اسم الذرية يقع على النساء؛ لأنهنّ مزارعها؛ وفي الحديث: أنه نهى عن قتل الذراري؛ يعني النساء. ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل الفلك ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ من الإبل، وهي سفائن البر. وقيل ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ سفينة نوح، ومعنى حمل الله ذرياتهم فيها: أنه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذرياتهم، وإنما ذكر ذرياتهم دونهم؛ لأنه أبلغ في الامتنان عليهم، وأدخل في التعجيب من قدرته، في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوح. و ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق ﴿فَلَا صَرِيخَ﴾ لا مغيث، أو لا إغاثة؛ يقال: أتاهم الصريخ ﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ لا ينجون من الموت بالغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ إلا لرحمة منا ولتمتيع بالحياة ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾[1] إلى أجل يموتون فيه لا بدّ لهم منه بعد النجاة من موت الغرق، ولقد أحسن من قال [من الوافر]:

وَلَـمْ أَسْـلَـمْ لِـكَـيْ أَبْـقَـى وَلَـكِـنْ ... سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ[2]

وقرأ الحسن رضي الله عنه: «نغرّقهم».

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم

---

(١) قال أحمد: من هنا أخذ أبو الطيب.
ولم أسلم لكي أبقى ولكن ... سلمت من الحمام إلى الحمام
لأنه تعالى أخبر أنهم إن سلموا من موت الغرق فتلك السلامة متاع إلى حين، أي: إلى أجل يموتون فيه، ولا بد.

(٢) للمتنبي يقول: ولم أسلم من حوادث الدهر ومكاره الحرب لأجل أن أخلد، وإنما سلمت من الحمام ـ ككتاب ـ: أي الموت ببعض الأسباب إلى أن أموت ببعضها الآخر. أو منقلب إلى الموت ببعضها الآخر؛ لأنه لا خلود في الدنيا.

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩]. وعن مجاهد: ما تقدّم من ذنوبكم وما تأخر (١٢٦٢). وعن قتادة: ما بين أيديكم من الوقائع التي خلت، يعني: من مثل الوقائع التي ابتليت بها الأمم المكذبة بأنبيائها، وما خلفكم من أمر الساعة (١٢٦٣) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لتكونوا على رجاء رحمة الله. وجواب «إِذَا» محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾، فكأنه قال: وإذا قيل لهم: اتقوا أعرضوا. ثم قال: ودأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٤٧)﴾

كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته، فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلاناً، ولو شاء لأعزّه، ولو شاء لكان كذا؛ فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله. ومعناه: أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم، وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله؛ لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان بمكة زنادقة، فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا والله، أيفقره الله ونطعمه نحن؟ وقيل: كانوا يوهمون أن الله تعالى٢/١٢٣أ لما كان قادراً على إطعامه ولا يشاء إطعامه، فنحن أحق بذلك. نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله ﷺ: أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله، يعنون قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، فحرموهم وقالوا: لو شاء الله لأطعمكم.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤٨) مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)﴾

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ قول الله لهم، أو حكاية قول المؤمنين لهم، أو هو من

١٢٦٢ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٩٧، جامع البيان)، حديث (٢٩١٦٩).
وذكره السيوطي في الدر (٥/٤٩٨)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والطبري عن مجاهد.

١٢٦٣ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٤٧ جامع البيان)، حديث (٢٩١٦٨).
وعبد الرازق في تفسيره (٢/١٤٤) في تفسيره القوا ما بين أيديكم، عن قتادة، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٩٧، ٤٩٨)، وعزاه للطبري وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

جملة جوابهم للمؤمنين. قرىء: «وهم يخصمون» بإدغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها، وإتباع الياء الخاء في الكسر، و«يختصمون» على الأصل. و«يخصمون»، من خصمه. والمعنى: أنها تبغتهم وهم في أمنهم وغفلتهم عنها، لا يخطرونها ببالهم مشتغلين بخصوماتهم في متاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون. ومعنى يخصمون: يخصم بعضهم بعضاً. وقيل: تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يوصوا في شيء من أمورهم ﴿تَوْصِيَةً﴾ ولا يقدرون على الرجوع إلى منازلهم وأهاليهم، بل يموتون حيث تفجؤهم الصيحة.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قرىء: «الصور» بسكون الواو وهو القرن، أو جمع صورة، وحرّكها بعضهم. و«الأجداث» القبور، وقرىء: بالفاء[1]. ﴿يَنسِلُونَ﴾ يعدون بكسر السين وضمها، وهي النفخة الثانية. وقرىء: «يا ويلتنا»، عن ابن مسعود رضي الله عنه: من أهبنا، من هب من نومه إذا انتبه، وأهبه غيره، وقرىء: «من هبنا» بمعنى أهبنا: وعن بعضهم: أراد هب بنا، فحذف الجار وأوصل الفعل، وقرىء: «من بعثنا» و«من هبنا»، على من الجارة والمصدر، و ﴿هَٰذَا﴾ مبتدأ، و ﴿مَا وَعَدَ﴾ خبره، وما مصدرية أو موصولة. ويجوز أن يكون هذا صفة للمرقد، وما وعد: خبر مبتدأ محذوف، أي: هذا وعد الرحمٰن، أي: مبتدأ محذوف الخبر، أي: ما وعد ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ حق. وعن مجاهد: للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم، فإذا صيح بأهل القبور قالوا: من بعثنا، وأما ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ فكلام الملائكة؛ عن ابن عباس. وعن الحسن: كلام المتقين. وقيل: كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به أنفسهم أو بعضهم بعضاً. فإن قلت: إذا جعلت «ما» مصدرية، كان المعنى: هذا وعد الرحمٰن وصدق المرسلين، على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق، فما وجه قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إذا جعلتها موصولة؟ قلت: تقديره: هذا الذي وعده الرحمٰن والذي صدّقه المرسلون، بمعنى: والذي صدق فيه المرسلون، من قولهم: صدقوهم الحديث والقتال. ومنه: صدقني سن بكره. فإن قلت: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ سؤال عن الباعث، فكيف طابقه ذلك جواباً؟ قلت: معناه بعثكم الرحمٰن الذي وعدكم البعث وأنبأكم به الرسل؛ إلا أنه جيء به على طريقة: سيئت

---

(١) قوله: «وقرئ بالفاء» في الصحاح «الجدف»: القبر، وهو إبدال الجدث. قال الفراء: العرب تعقب بين الفاء والثاء في اللغة، فيقولون: حدث وجدف، وهي الأجداث والأجداف. (ع).

بها قلوبهم، ونعيت إليهم أحوالهم، وذكروا كفرهم وتكذيبهم، وأخبروا بوقوع ما أنذروا به، وكأنه قيل لهم: ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده، حتى يهمكم السؤال عن الباعث، إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع، وهو الذي وعده الله في كتبه المنزّلة على ألسنة رسله الصادقين.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ قرئت منصوبة ومرفوعة ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ...... إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾[(1)] حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم، وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره ﴿فِي شُغُلٍ﴾ في أي شغل وفي شغل لا يوصف، وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم، ووقع في تلك الملاذ التي أعدّها الله للمرتضين من عباده، ثواباً لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم، وذلك بعد الوله والصبابة، والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية، وتخطي الأهوال، وتجاوز الأخطار وجواز الصراط. ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب. وعن ابن عباس: في افتضاض الأبكار (١٢٦٤). وعنه: في ضرب الأوتار (١٢٦٥). وعن ابن كيسان: في التزاور. وقيل: في ضيافة الله. وعن الحسن: شغلهم عما فيه أهل النار التنعم بما هم فيه (١٢٦٦). وعن الكلبي: هم في شغل عن أهاليهم من أهل

١٢٦٤ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٥٢ جامع البيان)، حديث (٢٩١٨٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٠)، وعزاه لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوية عن ابن عباس: قال في افتضاض الأبكار.

١٢٦٥ ـ ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠١)، وعزاه لابن أبي حاتم عن ابن عباس، وقال أبو حاتم: هذا خطأ من السمع إنما هو افتضاض الأبكار.

١٢٦٦ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٥٣)، حديث (٢٩١٩٣)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٠)، وعزاه لعبد بن حميد والطبري، وابن المنذر عن الحسن ـ رضي الله عنه.

---

(١) قال أحمد: هذا مما التنكير فيه للتفخيم، كأنه قيل: في شغل أي شغل، وكذا قوله تعالى: سلام قولاً من رب رحيم.

النار، لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم، لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم. قرىء: «في شغل» بضمتين وضمة وسكون، وفتحتين، وفتحة وسكون. والفاكه والفكه: المتنعم والمتلذذ، ومنه الفاكهة؛ لأنها مما يتلذذ به، وكذلك الفكاهة، وهي المزاحة. وقرىء: فاكهون وفكهون، بكسر الكاف وضمها؛ كقولهم: رجل حدث وحدث[1]، ونطس ونطس. وقرىء: «فاكهين» و«فكهين»، على أنه حال٢/١٢٣ب والظرف مستتر. ﴿هُمْ﴾ يحتمل أن يكون مبتدأ وأن يكون تأكيداً للضمير في ﴿فِى شُغُلٍ﴾ وفي ﴿فَٰكِهُونَ﴾ على أنّ أزواجهم يشاركنهم في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال. وقرىء: «في ظلل»، والأريكة: السرير في الحجلة[2]. وقيل: الفراش فيها. وقرأ ابن مسعود: «متكين» ﴿يَدَّعُونَ﴾ يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم؛ كقولك: اشتوى[3] واجتمل، إذا شوى وجمل لنفسه. قال لبيد [من الرمل]:

. . . . فَٱشْتَوَى لَيْلَةَ رِيحٍ وَٱجْتَمَلْ[4]

ويجوز أن يكون بمعنى يتداعونه؛ كقولك: ارتموه؛ وتراموه. وقيل: يتمنون، من قولهم: ادّع عليّ ما شئت، بمعنى: تمنه عليّ، وفلان في خير ما ادّعى، أي: في خير ما تمنّى. قال الزجاج: وهو من الدعاء، أي: ما يدعو به أهل الجنة يأتيهم. و ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدل مما يدعون، كأنه قال لهم: سلام يقال لهم ﴿قَوْلًا مِّن﴾ جهة ﴿رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾، والمعنى: أنّ الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة، أو بغير واسطة، مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم، ولهم ذلك لا يمنعونه. قال ابن عباس: فالملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين (١٢٦٧). وقيل: ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾، مبتدأ وخبره «سلام»، بمعنى: ولهم ما يدعون سالم

١٢٦٧ ـ ذكره السيوطي في الدر (٥/ ٥٠١)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم بلفظ: قال: «فإن الله هو يسلم عليهم».

---

(١) قوله: «كقولهم رجل حدث وحدث» أي حسن الحديث، والنطس البالغ في التطهر والمدقق في العلم. أفاده الصحاح. (ع).

(٢) قوله: «السرير في الحجلة» هي بيت العروس يزين بالثياب والستور، كذا في الصحاح. (ع).

(٣) قوله: و«اجتمل إذا شوى» في الصحاح: جملت الشحم أجمله جملاً، واجتملته: إذا أذبته. (ع).

(٤) وغـلام أرسـلـتـه أمـه ... بـألـوك فـبـذلـنـا مـا سـأل
أرسـلـتـه فـأتـاه رزقـه ... فـاشـتـوى لـيـلـة ريـح واجـتـمـل.

للبيد بن ربيعة، والألوك: الرسالة، أي: ورب غلام أرسلته أمه إلينا برسالة وهي هنا السؤال، فبذلنا ما سأله من الطعام عقب سؤاله، وبين ذلك بقوله: أرسلته فأتاه رزقه، وفيه دلالة على أنه لم يكن عندهم طعام حين أتاهم الغلام، أي: فأتاه رزقه من الصيد، فاشتوى لنفسه من اللحم في ليلة ريح مظلمة يقل فيها الجود، واحتمل: أي حمل كثيراً منه بنفسه لنفسه، ولأمه التي أرسلته. ويروى: =

خالص لا شوب فيه. و ﴿قَوۡلٗا﴾ مصدر مؤكد لقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَٰمٞ﴾ أي: عدة من رب رحيم. والأوجه: أن ينتصب على الاختصاص، وهو من مجازه. وقرىء: «سلم»، وهو بمعنى السلام في المعنيين. وعن ابن مسعود: «سلاماً» نصب على الحال، أي: لهم مرادهم خالصاً[1].

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩﴾

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ﴾ وانفردوا عن المؤمنين، وكونوا على حدة، وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم إلى الجنة، ونحوه قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ۝١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ الآية [الروم: ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦]. يقال: مازه فانماز وامتاز. وعن قتادة: اعتزلوا عن كل خير (١٢٦٨). وعن الضحاك: لكل كافر بيت من النار يكون فيه، لا يرى ولا يرى. ومعناه: أنّ بعضهم يمتاز من بعض.

﴿۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٦١﴾

العهد: الوصية، وعهد إليه: إذا وصاه، وعهد الله إليهم: ما ركز فيهم من أدلة العقل وأنزل عليهم من دلائل السمع. وعبادة الشيطان: طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم. وقرىء: «إعهد» بكسر الهمزة، وباب «فعل» كله يجوز في حروف مضارعته الكسر[2]، إلا في الياء. و«أعهِد»، بكسر الهاء، وقد جوز الزجاج أن يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب. و«أحهد»: بالحاء، وأحد وهي لغة تميم. ومنه قولهم: دحا محا[3]. ﴿هَٰذَا﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمٰن؛ إذ لا صراط أقوم منه، ونحو

١٢٦٨ ـ أخرجه الطبري (١٠/٤٥٦ جامع البيان)، حديث (٢٩٢٠٩)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٢)، وعزاه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم والطبري. قال: «عزلوا عن كل خير».

= اجتمل، بالجيم: وفي الصحاح: جملت الشحم واجتملته إذا أذبته، وهذه الرواية أنسب وأفيد.
ينظر: ديوانه (ص ١٧٨)، لسان العرب (جمل)، (شوا)، تهذيب اللغة (١١/ ١١٠)، تاج العروس (جمل)، بلا نسبة في مقاييس اللغة (٤/ ٢٢٥)، مجمل اللغة (٣/ ١٨٣).

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: وإذا كان بدلاً كان «ما يدعون» خصوصاً، والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه، وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه. انتهى. الدر المصون.

(٢) قوله: «في حروف مضارعته الكسر» لعله مضارعه. (ع).

(٣) قوله: «ومنه قولهم دحا محا» أي: دعها معها. (ع).

التنكير فيه ما في قول كُثيِّر [من الطويل]:

لَئِنْ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلَى لأَفْقَرَ مِنِّي إِنَّنِي لَفَقِيرُ[1]

أراد: إنني لفقير بليغ الفقر، حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيّ، وإلا لم يستقم معنى البيت، وكذلك قوله: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ يريد: صراط بليغ في بابه، بليغ في استقامته، جامع لكل شرط يجب أن يكون عليه. ويجوز أن يراد: هذا بعض الصرط المستقيمة، توبيخاً لهم على العدول عنه، والتفادي عن سلوكه؛ كما يتفادى الناس عن الطريق المعوج الذي يؤدي إلى الضلالة والتهلكة؛ كأنه قيل: أقل أحوال الطريق الذي هو أقوم الطرق ـ أن يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك، كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده: هذا فيما أظنّ قول نافع غير ضار، توبيخاً له عن الإعراض عن نصائحه.

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قرىء: «جبلا» بضمتين، وضمة وسكون، وضمتين وتشديدة، وكسرتين، وكسرة وسكون، وكسرتين وتشديدة. وهذه اللغات في معنى الخلق. وقرىء: «جبلا» جمع جبلة؛ كفطر وخلق، وفي قراءة علي رضي الله عنه: «جيلاً» واحداً، لا أجيال.

---

(١) دعوت إلهي دعوة ما جهلتها وربي بما تخفي الصدور بصير
لئن كان يهدي برد أنيابها العلا لأفقر مني إنني لفقير
فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت فهل يأتيني بالطلاق بشير؟

لكثير عزة. وقيل: لمجنون ليلى. وقوله: «ما جهلتها» معناه: أنها عن قصد وحضور قلب. وقوله: لئن كان يهدي، بيان للدعوة، وما بينهما اعتراض للتأكيد وإفادة أن الدعوة كانت في السر، أي: لئن كان يعطي برد أسنانها العليا، خصها لأنها التي تبدو كثيراً. وقيل: العلا الشريفة، لأحوج مني إنني لبليغ في الفقر، فأنا أحق بها من كل محتاج؛ لأني أحوج الناس إليها. ويجوز أن برد أنيابها: كناية عن ذاتها كلها، وإنني لفقير: خبر بمعنى الإنشاء مجاز مرسل؛ لأن إظهار شدة الاحتياج يلزمه الطلب. ويجوز أنه كناية عنه وهو جواب القسم المدلول عليه باللام، وجواب الشرط محذوف وجوباً لدلالة المذكور عليه، وما تعجبية، وأكثر فعل تعجب، والأخبار معموله، وأن مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، وهي على تقدير حرف الجر، أي: أتعجب من كثرة الأخبار المخبوة بزواجها، وهل استفهام بمعنى التمني أو التعجب مجاز مرسل لعلاقة مطلق الطلب، أي: أتمنى ذلك أو أتعجب من عدمه.
ينظر: ديوانه ص ٤٩، تذكرة النحاة (ص ٤٦٣).

﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾

يروى أنهم يجحدون ويخاصمون؛ فتشهد عليهم جيرانهم وأهاليهم وعشائرهم، فيحلفون ما كانوا مشركين، فحينئذ يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وأرجلهم. وفي الحديث: «يقول العبد يوم القيامة: إني لا أجيز عليّ شاهداً إلا من نفسي، فيختم على فيه، ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، فعنكنّ كنت أناضل»[1] (١٢٦٩)، وقرىء: «يختم على أفواههم، وتتكلم أيديهم». وقرئ: «ولتكلمنا/٢/ ١٢٤أ أيديهم وتشهد»، بلام كي والنصب على معنى: ولذلك نختم على أفواههم: وقرىء: «ولتكلمنا أيديهم ولتشهد» بلام الأمر والجزم على أنّ الله يأمر الأعضاء بالكلام والشهادة.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾

الطمس: تعفية شق العين حتى تعود ممسوحة ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل. والأصل: فاستبقوا إلى الصراط، أو يُضمَّن معنى ابتدروا، أو يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً إليه، أو ينتصب على الظرف. والمعنى: أنه لو شاء لمسح أعينهم، فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع[2] الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم وإلى مقاصدهم المألوفة التي تردّدوا إليها كثيراً ـ كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين[3] في أمور دنياهم ـ لم يقدروا، وتعايىٰ عليهم أن يبصروا ويعلموا

١٢٦٩ ـ أخرجه مسلم (٩/ ٣٢٧ نووي)، كتاب الزهد.
حديث (٧/ ٢٩٦٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٥٠٨)، كتاب التفسير، باب سورة الانفطار، حديث (١١٦٥٣)، والبيهقي في الأسماء والصفات ص (٢١٧، ٢١٨) وأبو يعلى في مسنده (٧/ ٥٥،٥٧)، حديث (٣٩٧٥، ٣٩٧٧)، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٥٨)، حديث (٧٣٥٨)، والحاكم في مستدركه (٤/ ٦٠١)، كتاب الأهوال، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٥٠٢،٥٠٣)، وعزاه لأحمد ومسلم والنسائي، وابن أبي الدنيا في التوبة وابن أبي حاتم، وابن مردوية والبيهقي في الأسماء والصفات عن أنس به.
قال الحافظ ابن حجر: أخرجه مسلم والنسائي من طريق الشعبي عن أنس ووهم الحاكم فاستدركه. انتهى.

---

(١) قوله: «كنت أناضل» أي أجادل. (ع).
(٢) قوله: «إلى الطريق المهيع» الهيوع: الجبن، والهيعة: الذوبان والسيلان وكل ما أفزعك من صوت، كذا في الصحاح. ولعل المراد الذي سهله كثرة سلوكه. (ع).
(٣) قوله: «موضعين» في الصحاح: وضع البعير وغيره: أسرع من سيره وأوضعه راكبه. (ع).

جهة السلوك فضلاً عن غيره. أو لو شاء لأعماهم، فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف ـ كما كان ذلك هِجِّيراهم ـ لم يستطيعوا. أو لو شاء لأعماهم، فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً، يعني: أنهم لا يقدرون إلا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك؛ كما ترى العميان يهتدون فيما ألفوا وضروا[1] به من المقاصد دون غيرها ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾ وقرىء: «على مكاناتهم» والمكانة والمكان واحد، كالمقامة والمقام؛ أي: لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرون أن يبرحوه بإقبال ولا إدبار ولا مضيّ ولا رجوع. واختلف في المسخ: فعن ابن عباس: لمسخناهم قردة وخنازير. وقيل: حجارة (١٢٧٠). وعن قتادة: لأقعدناهم على أرجلهم وأزمناهم. وقرىء: «مضياً» بالحركات الثلاث، فالمضيّ والمضي كالعتيّ والعتيّ. والمضيّ كالصبيّ.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾

«ننكسه في الخلق» نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه من قبل؛ وذلك أنا خلقناه على ضعف في جسده، وخلو من عقل وعلم، ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال إلى حال ويرتقي من درجة إلى درجة، إلى أن يبلغ أشده ويستكمل قوته، ويعقل ويعلم ما له وما عليه، فإذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص، حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبيّ في ضعف جسده وقلة عقله وخلّوه من العلم؛ كما ينكس السهم فيجعل أعلاه أسفله. قال عزّ وجلّ: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥]، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] وهذه دلالة على أنّ من ينقلهم من الشباب إلى الهرم، ومن القوّة إلى الضعف، ومن رجاحة العقل إلى الخرف وقلة التمييز، ومن العلم إلى الجهل بعد ما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه ـ قادر على أن يطمس على أعينهم، ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء وأراد، وقرئ بكسر الكاف[2]. وننكسه وننكسه، من التنكيس والإنكاس ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

١٢٧٠ ـ ذكره السيوطي (٥/ ٥٠٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن أبي صالح يقول «لجعلناهم حجارة».

---

(١) قوله: «وضروا به» أي: مرنوا. (ع).
(٢) قوله: «وقرئ بكسر الكاف» يفيد أن القراءة المشهورة بضم الكاف، وهما من النكس. (ع).

كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: شاعر، وروي أنّ القائل: عقبة بن أبي معيط، فقيل: ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ أي: وما علمناه بتعليم القرآن الشعر، على معنى: أنّ القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء، وأين هو عن الشعر، والشعر إنما هو كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟ وأين نظم كلامهم من نظمه وأساليبه؟ فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت، اللهمّ إلا أنّ هذا لفظه عربي، كما أنّ ذاك كذلك ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه، أي: جعلناه بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل، كما جعلناه أمّياً لا يتهدّى للخط ولا يحسنه، لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض. وعن الخليل: كان الشعر أحب إلى رسول الله ﷺ من كثير من الكلام، ولكن كان لا يتأتى له. فإن قلت: فقوله:

أَنَـــا الـــنَّـــبِـــيُّ لاَ كَـــذِبْ   أَنَـا ٱبْـنُ عَـبْـدِ الْـمُـطَّـلِـبْ (١٢٧١)

وقوله:

هَـــلْ أَنْـــتِ إِلاَّ أُصْـــبُـــعٌ دَمِـــيـــتِ   وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ؟[(١)] (١٢٧٢)

١٢٧١ ـ أخرجه البخاري (٧/ ٦٢٢): كتاب المغازي: باب قول الله تعالى ويوم حنين، حديث (٤٣١٦)، وأطرافه في (٢٨٦٤، ٢٨٧٤، ٢٩٣٠، ٣٠٤٢، ٤٣١٥)، ومسلم (٦/ ٣٥٦، ٣٥٧): كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، حديث (٧٨/ ١٧٧٦) والترمذي (٤/ ١٩٩): كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال، حديث (١٦٨٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٤٣، ٩/ ١٥٤) وأحمد (٤/ ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤).

والطبري في تفسيره، حديث (١٦٥٨٠)، (١٦٥٨١) والطيالسي (٢/ ١٠٨) ما جرى للنبي في غزوة هوازن يوم حنين، حديث (٢٣٧٣) وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٢٧١)، حديث (١٧٢٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤١٦)، حديث (٣٦٩٨٣) وابن حبان في صحيحه (١١/ ٩٠)، حديث (٤٧٧٠).

وقال ابن حجر: متفق عليه من حديث البراء بن عازب في حديث. انتهى.

١٢٧٢ ـ أخرجه البخاري (٦/ ٢٣): كتاب الجهاد: باب من ينكب في سبيل الله، حديث (٢٨٠٢)، =

---

(١) هــل أنــت إلاّ أصــبــع دمــيــت   وفــي ســبــيــل الله مــا لــقــيــت؟
يــا نــفــس لا تــقــنــطــي بــموتــي   هــذي حياض الــموت قد صليت
ومــا تــمــنــيــت فــقــد لــقــيــت   إن تــفــعــلــي فــعــلــهــمــا هــديــت

لعبد الله بن رواحة حين حمل اللواء بعد قتل زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب فأصيبت أصبعه في الحرب فدميت، وروى البخاري عن جندب أنه قال: بينما النبي ﷺ يمشي إذ أصابه حجر، فعثر، فدميت أصبعه، فقال: «هل أنت إلاّ أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت» فأفاد أنه ﷺ يتمثل بشعر غيره، وهو بكسر التاء على وفق القافية، وقال الكرماني: التاء في الرجز مكسورة، وفي الحديث ساكنة. وقال عياض: غفل بعض الناس فروى: دميت ولقيت، بغير مد، وخالف الرواية. وروى =

قلت: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة، من غير صنعة ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه إن جاء موزوناً؛ كما يتفق في كثير من إنشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز، على أن الخليل ما كان يعدّ المشطور من الرجز شعراً، ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر، قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ يعني: ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجنّ، كما قال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٧] وما هو إلا قرآن كتاب سماوي، يقرأ في المحاريب، ويتلى في المتعبدات، وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين، فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين ﴿لِّيُنذِرَ﴾ القرآن٢/ ١٢٤ب أو الرسول، وقرىء: «لتنذر»، بالتاء. ولينذر: من نذر به إذا علمه ﴿مَن كَانَ حَيًّا﴾ أي عاقلاً متأملاً؛ لأن الغافل كالميت، أو معلوماً منه أنه يؤمن فيحيا بالإيمان ﴿وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ وتجب كلمة العذاب ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الذين لا يتأملون ولا يتوقع منهم الإيمان.

= ومسلم (٦/ ٣٩٤ نووي): كتاب الجهاد: باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، حديث (١٧٩٦)، والترمذي (٥/ ٤٤٢): كتاب التفسير: باب تفسير سورة الضحى، حديث (٣٣٤٥)، والحميدي (٢/ ٣٤١)، حديث (٧٧٦)، والطبراني في الكبير (٢/ ١٧٢، ١٧٣)، حديث (١٧٠٨)، وأيضاً (١٧٠٣، ١٧٠٧) وأحمد (٤/ ٣١٢، ٣١٣).

وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، حديث (٦٥٧٧)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢)، حديث (١٥٣٣)، من حديث جندب بن عبد الله بن سفيان.

قال الحافظ ابن حجر في «تخريج الكشاف» متفق عليه من حديث جندب بن سفيان في حديث انتهى.

= أحمد والطيالسي أنه ﷺ قاله حين كان خارجاً إلى الصلاة، ودميت: صفة أصبع، والمعنى: لم يحصل لك شيء من الأذى إلاّ أنك دميت، ولم يكن ذلك هدراً، بل كان في سبيل الله ومرضاته لا غير، أي: الذي لقيته من الأذى في سبيل الله، فلا تحزني، ونزلها منزلة العاقل فخاطبها بذلك تسلية وتثبيتاً لها، وهو في الحقيقة لنفسه، ثم صرح بخطاب النفس مثبتاً لها. بقوله: إن لم تقتلي في الحرب فلا بد لك من الموت، وهذه حياضه، فلا تفري منها؛ لأن الوقوع في البلاء أهون من انتظاره، وشبه الموت بسيل على سبيل المكنية، فأثبت له الحياض تخييلاً، وشبهه بالنار كذلك، فأثبت له الصلى وهو اقتحام النار، ولا مانع من تشبيه الشيء بأمرين مختلفين مع الرمز لكل منهما بما يلائمه، ويجوز استعارة الحياض للمعرفة تصريحاً، والذي تمنيته من الحرب المؤدي إلى الشهادة فقد لقيته، إن تفعلي كفعل زيد وجعفر، هديت إلى طريق الخير.

ينظر: كتاب العين (٦/ ٦٥)، تهذيب اللغة (٢/ ٥١)، تاج العروس (صبع)، جمهرة اللغة (ص ٦٨٦)، لسان العرب (صبع).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَـٰرِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ مما تولينا نحن إحداثه ولم يقدر على توليه غيرنا، وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها، التي لا يصحّ أن يقدر عليها إلا هو. وعمل الأيدي: استعارة من عمل من يعملون بالأيدي ﴿فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ﴾ أي: خلقناها لأجلهم فملكناها إياهم، فهم متصرفون فيها تصرف الملاك، مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون، أو فهم لها ضابطون قاهرون، من قوله [من المنسرح]:

أَصْبَحْتُ لاَ أَحْمِلُ السِّلاَحَ وَلاَ ... أَمْلِكُ رَأْسَ الْبَعِيرِ إِنْ نَفَرَا[1]

أي: لا أضبطه، وهو من جملة النعم الظاهرة، وإلا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله وتسخيره لها؛ كما قال القائل [من الوافر]:

يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ بِكُلِّ وَجْهٍ ... وَيَحْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرُ
وَتَضْرِبُهُ الْوَلِيدَةُ بِالْهَرَاوَى ... فَلاَ غِيَرٌ لَدَيْهِ وَلاَ نَكِيرُ[2]

---

(١) أصبح مني الشباب مبتكراً ... إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
فارقنا قبل أن نفارقه ... لما قضى من جماعنا وطرا
أصبحت لا أملك السلاح ولا ... أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا

للربيع بن منيع، قاله حين بلغ مائة وأربعين عاماً، عاش بعده مائة وستين. والمبتكر: المسافر أول النهار، فهو تشبيه بليغ، ثم تسلى بقوله: إن ينأ، أي بعد عني فقد أقام عندي أزمنة طويلة، فارقنا، أي: ذهب عنا قبل أن نموت، فقوله: «نفارقه» مجاز عن ذلك، أو كناية عنه، أو مجاز عن البغض. والجماع: معناه الاجتماع والمصاحبة، والوطر: الحاجة، وهذا كله ترشيح للتشبيه أول الكلام، ولا يخفى ما في البيت من إبهام ما كان ينبغي الاحتراس منه، فإن قضاء الوطر من الجماع اشتهر استعماله في مقام الوطء، ثم قال: صرت لا أضبط السلاح بيدي ولا رأس البعير إن ند مني ولا أقدر عليهما. ويروى: لا أحمل السلاح، أي: لا أقدر على حمله، وأخشاه: أي أخافه، إن مررت به وحدي، وأخاف الرياح والمطر ولو مع غيري، وكل هذا كناية عن بلوغه غاية الضعف والهرم.
ينظر: أمالي المرتضى ١/ ٢٥٥؛ وحماسة البحتري ص ٢٠١؛ وخزانة الأدب ٧/ ٣٨٤؛ وشرح التصريح ٢/ ٣٦؛ والكتاب ١/ ٨٩؛ ولسان العرب ١٣/ ٢٥٩ (ضمن)؛ والمقاصد النحوية ٣/ ٣٩٨؛ وبلا نسبة في الرد على النحاة ص ١١٤؛ وشرح المفصل ٧/ ١٠٥؛ والمحتسب ٢/ ٩٩.

(٢) لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يصرفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير

لكثير عزة حين رآه عبد الملك بن مروان قصيراً حقيراً، فقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وقيل: للعباس بن مرداس. وقيل: لمعاوية بن مالك الكلابي، وعظم: ضخم وطال. واللب: =

ولهذا ألزم الله سبحانه الراكب أن يشكر هذه النعمة ويسبح بقوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]. وقرئ: «ركوبهم»، و«ركوبتهم». وهما ما يركب، كالحلوب والحلوبة. وقيل: الركوبة جمع. وقرئ: «ركوبهم»؛ أي ذو ركوبهم، أو فمن منافعها ركوبهم ﴿مَنَٰفِعُ﴾ من الجلود والأوبار والأصواف وغير ذلك ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من اللبن، ذكرها مجملة، وقد فصلها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا...﴾ الآية [النحل: ٨٠]؛ والمشارب: جمع مشرب؛ وهو موضع الشرب، أو الشرب.

﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

اتخذوا الآلهة طمعاً في أن يتقوّوا بهم ويعتضوا بمكانهم، والأمر على عكس ما قدّروا حيث هم جند لآلهتهم معدّون ﴿مُّحْضَرُونَ﴾ يخدمونهم ويذبون عنهم، ويغضبون لهم؛ والآلهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر، أو اتخذوهم لينصروهم عند الله ويشفعوا لهم، والأمر على خلاف ما توهموا، حيث هم يوم القيامة جند معدّون لهم محضرون لعذابهم؛ لأنهم يجعلون وقوداً للنار. وقرئ: «فلا يحزنك» بفتح الياء وضمها، من: حزنه وأحزنه، والمعنى: فلا يهمنك تكذيبهم وأذاهم وجفاؤهم، فإنا عالمون بما يسرون لك من عداوتهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وإنا مجازوهم عليه، فحقّ مثلك أن يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهمّ ولا يرهقه الحزن. فإن قلت: ما تقول فيمن يقول: إن قرأ قارىء: «أنا نعلم» بالفتح: انتقضت صلاته، وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى: كفر؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون على حذف لام التعليل، وهو كثير في القرآن وفي الشعر، وفي كل كلام وقياس مطرد، وهذا معناه ومعنى الكسر سواء. وعليه تلبية رسول الله ﷺ: «إنّ الحمد والنعمة لك» (١٢٧٣)، كسر أبو

١٢٧٣ ـ أخرجه مالك (١/ ٣٣١): كتاب الحج: باب العمل في الإهلال، حديث (٢٨)، والبخاري (٣/ ٤٠٨): كتاب الحج، باب التلبية، حديث (١٥٤٩)، ومسلم (٢/ ٨٤١): كتاب الحج: باب التلبية وصفتها ووقتها، حديث (١٩/ ١١٨٤)، وأبو داود (٢/ ٤٠٤): كتاب المناسك: باب كيف التلبية، حديث (١٨١٢)، والترمذي (٣/ ١٨٧) كتاب الحج: باب ما جاء في التلبية، حديث (٨٢٥)، =

= العقل، وأتى بالظاهر موضع المضمر للتهويل في الطول والجسامة، بكل وجه: في كل جهة، والخسف: الذل. والجرير: حبل غير الزمام يربط به. والهراوي: جمع هراوة وهي العصا، وجمعها دلالة على كثرة الضرب. والغير ـ بالتحريك ـ الغيرة. والنكير: الإنكار، يعني أن العبرة بالألباب والعقول، لا بالغلظ والطول.

ينظر: ديوانه ص ٨٧٧، لسان العرب (هرا)، تاج العروس (هرا).

opel-kanar.com

حنيفة وفتح الشافعي، وكلاهما تعليل. والثاني: أن يكون بدلاً من ﴿قَوْلُهُمْ﴾؛ كأنه قيل: فلا

= والنسائي (٥/ ١٦٠): كتاب الحج: باب كيف التلبية، وابن ماجه (٢/ ٩٧٤): كتاب المناسك: باب التلبية، حديث (٢٩١٨)، والشافعي (١/ ٣٠٣): كتاب الحج: الباب الرابع فيما يلزم المحرم عند تلبسه بالإحرام، حديث (٧٨٩)، وأحمد (٢/ ٤٨)، والطيالسي (١/ ٢١١): كتاب الحج والعمرة: باب ما جاء في التلبية وصفتها ومدتها، حديث (١٠١٥)، والدارمي (٢/ ٣٤): كتاب المناسك: باب في التلبية، وابن الجارود ص: (١٥٣): باب المناسك، حديث (٤٣٣)، والطحاوي في شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤): كتاب مناسك الحج. باب التلبية كيف هي، والبيهقي (٥/ ٤٤): كتاب الحج: باب كيف التلبية، والحميدي (٢/ ٢٩١ ـ ٢٩٢)، رقم (٦٦٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٨٧)، وابن خزيمة (٤/ ١٧١)، رقم (٢٦٢١، ٢٦٢٢) وابن حبان، رقم (٣٨٠٤ ـ الإحسان)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٩٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٧٢ ـ ٦/ ٤٥)، من طرق عن نافع، عن ابن عمر به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه البخاري (١٠/ ٣٧٣) كتاب اللباس: باب التلبيد (٥٩١٥) ومسلم (٢/ ٨٤٢) كتاب الحج: باب التلبية وصفتها ووقتها حديث (٢١/ ١١٨٤) والنسائي (٥/ ١٥٩) كتاب الحج: باب كيف التلبية (٢٧٤٧) والبيهقي (٥/ ٤٤) من طريق الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر به.

وأخرجه أحمد (٢/ ٣، ٧٩) وأبو يعلى (١٠/ ٥٧) رقم (٥٦٩٢) والطبراني في «الصغير» (١٠ / ٥١ ـ ٥٢) من طرق عن بكر بن عبد الله المزني عن عبد الله بن عمر به.

وفي الباب عن عائشة وجابر وابن مسعود وأنس وعمرو بن معد يكرب وابن عباس.

ـ حديث عائشة:

أخرجه البخاري (٣/ ٤٧٨) كتاب الحج: باب التلبية حديث (١٥٥٠) وأحمد (٦/ ٣٢، ٢٣٠) والطحاوي في «شرح معاني الآثار (٢/ ١٢٤) والبيهقي (٥/ ٤٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٨) وأبو يعلى (٨/ ١٣٠ ـ ١٣١) رقم (٤٦٧١) من طريق الأعمش عن عمارة عن أبي عطية عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يلبي: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك...».

وأخرجه أحمد (٦/ ١٠٠) والطيالسي (١/ ٢١١ ـ مِنحة) رقم (١٠١٢) والبيهقي (٥/ ٤٤ ـ ٤٥) من طريق شعبة عن الأعمش سمعت خيثمة عن أبي عطية عنها.

وعلقه البخاري في «صحيحه (٣/ ٤٧٨) رقم (١٥٥٠) من هذا الطريق فقال: وقال شعبة أخبرنا سليمان ـ الأعمش ـ سمعت خيثمة عن أبي عطية سمعت عائشة رضي الله عنها.

ـ حديث جابر:

وهو حديثه الطويل في صفة حجة النبي ﷺ وقد تقدم تخريجه.

ـ حديث ابن مسعود:

أخرجه أحمد (١/ ٤١٠) والنسائي (٥/ ١٦١) كتاب الحج: باب التلبية والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤) وأبو يعلى (٨/ ٤٤٠ ـ ٤٤١) حديث (٥٠٢٧) من طريق حماد بن زيد ثنا أبان بن تغلب عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك.

ـ حديث أنس:

أخرجه أبو يعلى (٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦) رقم (٢٧٦٨) من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن =

يحزنك، أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون. وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها

= وقتادة عن أنس أن النبي ﷺ كان يلبي: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٦): رواه أبو يعلى من رواية عبد الله بن نمير عن إسماعيل ولم ينسبه فإن كان ابن أبي خالد وهو من رجال الصحيح وإن كان إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وهو ضعيف وكلاهما روى عنه».

والحديث في «المطالب العالية (١٢٠١) وعزاه ابن حجر إلى أبي يعلى.

ـ حديث عمرو بن معد يكرب:

أخرجه البزار (٢ / ١٤ ـ كشف) رقم (١٠٩٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢/ ١٢٤) من طريق شرقي بن قطامي عن شراحيل بن القعقاع قال: ثنى أبو طلق العانذي قال سمعت عمرو بن معدي كرب يقول: لقد رأيتنا في الجاهلية ونحن إذا حججنا البيت نقول [من الرجز]:

هـذي زبـيـد قـد أتـتـك قـسـرا ... تـعـدو بـهـا مـضـمـرات شـزرا

يـقـطـعـن خـبـتـاً وجـبـالاً وعـرا ... قـد تـركـوا الأصـنـام خـلـواً صـفـرا

قال: ونحن اليوم نقول كما علمنا رسول الله ﷺ: لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك».

وقال البزار: إسناده ليس بالثابت وإنما يحتمل إذا لم نعرف غيره وقد أسلم عمرو في زمن النبي ﷺ ولم يحدث إلاَّ بهذا.

وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٦)، وقال: رواه البزار والطبراني في الكبير والصغير والأوسط.. وفيه شرقي بن قطامي وهو ضعيف وقال البزار: إسناده ليس بثابت.

ـ حديث ابن عباس:

أخرجه أحمد (١/ ٣٠٢) من طريق شريك عن أبي إسحق عن الضحاك عن ابن عباس قال: كانت تلبية النبي ﷺ لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٥٥) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات والضحاك بن مزاحم لم يسمع من ابن عباس. وقال العلائي في «جامع التحصيل.. (ص ـ ١٩٩ ـ ٢٠٠): الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير كان شعبة ينكر أن يكون لقي ابن عباس وروى عن يونس بن عبيد أنه قال: ما رأى ابن عباس قط وعن عبد الملك بن ميسرة أنه لم يلقه إنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير وروى شعبة أيضاً عن مشاش أنه قال: سألت الضحاك لقيت ابن عباس؛ قال: لا وقال الأثرم سمعت أحمد بن حنبل يسأل الضحاك لقي ابن عباس؟ قال: ما علمت قيل فمن سمع التفسير؟ قال: يقولون سمعه من سعيد بن جبير قيل له فلقي ابن عمر؟ فقال أبو سنان يروي شيئاً ما يصح عندي. أ.هـ.

وللحديث طريق آخر عن ابن عباس

أخرجه البزار (٢ / ١٣ ـ كشف) رقم (١٠٨٩) من طريق أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: كانت تلبية موسى ﷺ لبيك عبدك وابن عبديك وكانت تلبية عيسى ﷺ لبيك عبدك وابن أمتك وكانت تلبية النبي ﷺ لبيك لا شريك لك لبيك.

قال البزار: لا نعلمه عن ابن عباس إلاَّ من هذا الوجه ولا رواه عن عطاء إلاَّ أبو كدينة. =

مفعولة للقول، فقد تبين أن تعلق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر «إن» وفتحها، وإنما يدوران على تقديرك، فتفصل إنْ فتحت؛ بأن تقدّر معنى التعليل ولا تقدّر البدل؛ كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدّر معنى المفعولية، ثم إن قدّرته كاسراً أو فاتحاً على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل، فما فيه إلا نهي رسول الله ﷺ عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلانيتهم، وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧]، ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [القصص: ٨٨].

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قبح الله عزّ وجلّ إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ، وأدلّ على تمادي كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسّة وتغلغله في القِحَة[1]؛ حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخسّ شيء وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل٢/ ١٢٥أ الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدّى مثله على مهانة أصله ودناءة أوّله لمخاصمة الجبار، وشرز صفحته[2] لمجادلته، ويركب متن الباطل ويلج، ويمحك ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمّت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها، وروي: أن جماعة من كفار

= وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٢٥): رواه البزار وفيه عطاء ابن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله رجال الصحيح.
قال الحافظ في «تخريج الكشاف»: متفق عليه من حديث ابن عمر في أثناء حديث انتهى.

(١) قوله: «وتغلغله في القحة» في الصحاح: وقح الرجل قحة ووقاحة، إذا صار قليل الحياء. (ع).
(٢) قوله: «وشرز صفحته... إلخ» في الصحاح «الشرز» الشرس، وهو الغلظ. والمحك: اللجاج. (ع).

قريش منهم أبيّ بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك، فقال لهم أبيّ: ألا ترون إلى ما يقول محمد، إنّ الله يبعث الأموات، ثم قال: واللات والعزّى لأصيرنّ إليه ولأخصمنه، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقول: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ؟! قال ﷺ: «نعم، ويبعثك ويدخلك جهنم» (١٢٧٤) وقيل: معنى قوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ فإذا هو بعد ما كان ماء مهيناً رجل مميز منطبق قادر على الخصام، مبين: معرب عما في نفسه فصيح، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ۝١٨﴾ [الزخرف: ١٨]. فإن قلت: لم سمى قوله: ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ مثلاً؟ قلت: لما دلّ عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل، وهي إنكار قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، أو لما فيه من التشبيه، لأن ما أنكر من قبيل ما يوصف الله بالقدرة عليه، بدليل النشأة الأولى، فإذا قيل: من يحيي العظام على طريق الإنكار لأن يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادراً عليه، كان تعجيزاً لله وتشبيهاً له بخلقه في أنهم غير موصوفين بالقدرة عليه. والرميم: اسم لما بلي من العظام غير صفة، كالرمة والرفات، فلا يقال: لم لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول، ولقد استشهد بهذه الآية من يثبت الحياة في العظام، ويقول: إن عظام الميتة نجسة؛ لأن الموت يؤثر فيها من قبل أن الحياة تحلها. وأما أصحاب أبي

١٢٧٤ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/١٦٧)، حديث (١٠٧٩): غريب بهذا اللفظ. وعزاه للثعلبي عن قتادة.

وأخرجه ابن جرير الطبري (١٠/٤٦٤)، حديث (٢٩٢٤٣)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٢٩) في التفسير: تفسير سورة يس.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في المعجم وابن مردويه، والبيهقي في البعث، والضياء في المختارة، عن ابن عباس. لكن وجدته في الطبري عن سعيد بن جبير.

وذكره السيوطي في الدر (٥/٥٠٨)، وعزاه لسعيد بن منصور، وابن المنذر والبيقهي. عن أبي مالك: جاء أبي بن خلف.

وأخرج الطبري (١٠/ ٤٦٤ جامع البيان)، حديث (٢٩٢٤٤) عن ابن عباس، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٥٠٧)، وعزاه لابن جرير وابن مردوية عن ابن عباس: جاء عبد الله بن أبي.

وذكره السيوطي في الدر (٥/٥٠٨)، وعزاه لابن مروديه عن ابن عباس، قال: نزلت في أبي جهل ابن هشام.

قال الحافظ: هكذا ذكره الثعلبي عن قتادة بغير سند، وأخرجه الحاكم من رواية أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس، وأن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء، ففتته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد مارم؟ فقال: نعم، يميتك الله ـ الحديث، وروى البيهقي في الشعب من طريق حصين عن أبي مالك. قال: جاء أبي بن خلف بعظم نخر ـ الحديث، وروى ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: «جاء أبو جهل بعظم حائل»، انتهى.

حنيفة فهي عندهم طاهرة، وكذلك الشعب والعصب، ويزعمون أنّ الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت، ويقولون: المراد بإحياء العظام في الآية ردّها إلى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حيّ حساس ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلم كيف يخلق، لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن أجناسها وأنواعها وجلائلها ودقائقها. ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر، مع مضادة النار الماء وانطفائها به؛ وهي الزناد التي توري بها الأعراض وأكثرها من المَرخ والعَفار، وفي أمثالهم: «في كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان، يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر، على العفار وهي أنثى فتنقدح النار بإذن الله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا العناب (١٢٧٥). قالوا: ولذلك تتخذ منه كذينقات القصارين. قرئ: «الأخضر» على اللفظ، وقرئ: «الخضراء» على المعنى، ونحوه قوله تعالى: ﴿مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٥٣ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الواقعة: ٥٤]. من قدر على خلق السمٰوات والأرض مع عظم شأنهما فهو على خلق الأناسي أقدر، وفي معناه قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. وقرئ: «يقدر». وقوله: ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ يحتمل معنيين: أن يخلق مثلهم في الصغر والقماءة[1] بالإضافة إلى السمٰوات والأرض أو أن يعيدهم؛ لأن المعاد مثل للمبتدأ وليس به ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ﴾ الكثير المخلوقات ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ الكثير المعلومات. وقرئ: «الخالق» ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ﴾: إنما شأنه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا﴾ إذا دعاه داعي حكمة إلى تكوينه ولا صارف ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾ أن يكونه من غير توقف ﴿فَيَكُونُ﴾ فيحدث، أي: فهو كائن موجود لا محالة. فإن قلت: ما حقيقة قوله: ﴿أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾؟ قلت: هو مجاز من الكلام وتمثيل؛ لأنه لا يمتنع عليه شيء من المكونات، وأنه بمنزلة المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع. فإن قلت: فما وجه القراءتين في «فيكون»؟ قلت: أما الرفع فلأنها جملة من مبتدأ وخبر؛ لأن تقديرها: فهو يكون، معطوفة على مثلها، وهي أمره أن يقول له: كن. وأما النصب فللعطف على «يقول»، والمعنى: أنه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الأجسام إذا فعلت شيئاً مما تقدر عليه، من المباشرة بمحال القدرة، واستعمال الآلات، وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب، إنما أمره وهو القادر العالم لذاته أن يخلص داعيه إلى الفعل، فيتكون؛ فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز

١٢٧٥ ـ ذكره الزيلعي في تخريج أحاديث الكشاف (٣/١٦٨)، حديث (١٠٨٠) وقال الحافظ: لم أجده.

---

(١) قوله: «والقماءة» الصغر والذِّلَّة. أفاده الصحاح. (ع).

عن الإعادة؟! ﴿فَسُبْحَانَ﴾ تنزيه له مما وصفه به المشركون، وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته. وقرئ: «ملكة/ ٢/ ١٢٥ب كل شيء» و«ملك كل شيء». والمعنى واحد ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء وفتحها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت لا أعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك، فإذا أنه لهذه الآية.

قال رسول الله ﷺ: «إنّ لكل شيء قلباً، وإن قلب القرآن يس، من قرأ يس يريد بها وجه الله، غفر الله تعالى له، وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتين وعشرين مرة، وأيما مسلم قرئ عنده إذا نزل به ملك الموت سورة يس، نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له، ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه، وأيما مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت، لم يقبض ملك الموت روحه حتى يحبيه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه، فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان، ويمكث في قبره وهو ريان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان» (١٢٧٦). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن في القرآن سورة تشفع لقارئها، ويغفر لمستمعها؛ ألا وهي سورة يس» (١٢٧٧).

١٢٧٦ ـ أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (٢/ ١٨٧)، حديث (٦٦١)، عن أبي بن كعب، وذكره الزيلعي (٣/ ١٧١)، حديث (١٠٨٠)، وزاد نسبته إلى ابن مردويه، والثعلبي عن أبي بن كعب.
وأخرجه البزار، حديث (٢٣٠٤) من حديث أبي هريرة: «إن لكل شيء قلباً، وفي الباب عن أبي بكر، لكن لا يصح»، قال الحافظ بن حجر:
أخرجه ابن مردويه والثعلبي من حديث أبي بن كعب، وأوله في الترمذي من رواية هرون أبي محمد عن مقاتل بن حيان عن قتادة عن أنس، وقال: غريب. وهرون مجهول، وفي الباب عن أبي بكر وأبي هريرة. فأما حديث أبي هريرة، فأخرجه البزار وفيه حميد المكي مولى آل علقمة. وهو ضعيف. وحديث أبي بكر: أخرجه الحكيم الترمذي، انتهى.

١٢٧٧ ـ ذكره الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/ ١٧١)، وعزاه للثعلبي قال الحافظ ابن حجر: أخرجه الثعلبي من طريق محمد بن عمير عن هشام عن أبيه عن عائشة، انتهى.